

المطران «دانيال كمبوني» مؤسس التنصير في إفريقيا (١٨٣١م - ١٨٨١م)

سيلا علا سان (*)



يُعَدُّ المطران «دانيال كمبوني» أول مَنْ أدخل الكاثوليكية في إفريقيا عامة، وفي السودان على وجه الخصوص، حيث تأثر بالخطابات الحماسية التي كان يلقيها الباباوات في المدرسة التي تربى فيها، وهو ما جعله يعزم على تكريس حياته لخدمة التنصير في إفريقيا.

كان دانيال كمبوني شخصاً متفائلاً، يقترب من الناس، ويجب التحدث إليهم، والاستماع إلى مشكلاتهم، كما كان كاتباً متميزاً، كتب العديد من الرسائل التي تشكّل مرجعاً تاريخياً وأدبياً في الأوساط المسيحية، وكانت مقالاته تجابه معضلات تلك الفترة التي سادت فيها تجارة الرقيق والاستعباد في إفريقيا، يشرح فيها الحالة المأساوية التي كان يعيش فيها سكان السودان.

كان دانيال كمبوني يعرف أن عمله لن يكون له مستقبل دون تعاون الجهات المعنية، وتضاضر جهودها على مستوى التخطيط والتنفيذ، لذلك كان بحثه الدائم عن آراء الآخرين، وعدم اعتبار تلك الآراء تافهة، فيقول: «نحن نعمل جميعنا بدون منافسة في اكتساب أنفس جديدة ليسوع، فنحن جميعنا نمد أيادينا، فنذورنا واحدة، وهدفتنا واحد، وعملنا واحد، وهو تنصير إفريقيا بالمسيح» (كتابات ٢١٨٢).

(*) باحث ماجستير - قسم السياسية - معهد البحوث والدراسات الإفريقية - جامعة القاهرة.

وفي النهاية؛ فإن روح التعاون والشاركة عند منصّري كمبوني تأتي من قناعتهم بأنهم يقومون بعمل جليل، تسندهم فيه العناية الإلهية، وأنهم لا ينتظرون ثماراً سريعة، فهي ستأتي فقط من الاستمرارية، ومن المنافسة بين كثير من الهيئات التنصيرية، «إن المرسل في إفريقيا الوسطى يجب أن يفرح بأنه بمزيد من العرق وسط الحرمان والصعوبات؛ قد زرع بذوراً، وهي سوف تثمر فقط للمرسلين القادمين بعده، يجب أن يعتبر نفسه فرداً مجهولاً وسط العديد من العمال الذين يجب عليهم أن ينتظروا نتائج عمل لا يعتمد على قدرتهم الشخصية بقدر اعتماده على أعمال العناية الإلهية الفائقة. وفي كلمة واحدة؛ فإنّ منصّر إفريقيا يجب أن يعكس أنه يعمل في عمل جليل، ويحتاج المزيد من الجهد والعرق لكي يكون حجراً مخفياً تحت الأرض، ولن يرى النور أبداً، وأنه جزء من الأساس الذي سيكون المبنى الضخم والعملاق، وأن خلفاءه فقط هم الذين سيظهرون» (كتابات ٢٧٠٠ - ٢٧٠١).

النشأة:

وُلد دانيال كمبوني في ١٥ مارس / ١٨٣١م، في مدينة ليمون شمال إيطاليا، وكان أبوه لويس بستانيا في «تيزول»، وهي ملكية واسعة مزروعة من الزيتون، يملكها واحد من أعيان المنطقة، هو الدكتور جان باتست فراري، وكانت الأم دومنيك تهتم بالمنزل، كان دانيال واحداً من ثمانية أبناء يقع ترتيبه الثالث، وهو الوحيد الذي عاش طويلاً حتى تجاوز الخمسين سنة. دراسته:

في عام ١٨٢٨م إلى عام ١٨٤٠م؛ تابع دانيال في قريته منهج الدراسة الموجز للفصلين الأولين، تحت إدارة راعيين متتابعين، هما: الأب رونسييتي والأب كولوسيو، وفي خلال هذين العامين كان والده لويس يلاحظه جيداً، وكان الطفل يَشُرُّ بإمكانات كبيرة؛ ولذا لم يوجَّهه إلى مهنة البستاني مثل أخيه الأكبر فيجيل، ودرس مع الأب ياتوتزي في ليمون.

**نشأت مؤسسات دانيال كمبوني
التنصيرية منذ عام ١٨٩٧م.
من أجل تكوين جمعيات تدعي
العمل للعدالة والسلام، وهي
تعمل حقيقة على إثارة العداوة
والبغضاء، وبخاصة تجاه المسلمين**

وفي عام ١٨٤١م نجد دانيال في فيرونا يدخل المدرسة العليا التي كان يديرها الأب ريكوبلي، وسكن الطفل بين عائلة صديقة لعائلته، ونجح في امتحانه نجاحاً باهراً.

وفي بدء السنة الدراسية ١٨٤٢م - ١٨٤٣م تابع الدراسة في المدرسة الإكليريكية الأسقفية في فيرونا، وكان طالباً خارجياً يسكن مع العائلة التي آوته. كان والده دائماً يتابعه بالرغم من بعد المسافة، واكتشف أن صحته هزيلة، وأنه يحتاج إلى حياة أكثر انتظاماً في كل نواحي حياته من دراسة ونوم وغذاء؛ فأدخله في فبراير ١٨٤٣م معهد الأب ماتزا^(١)، فتابع

(١) وُلِدَ الأب نيقولا ماتزا في فيرونا عام ١٧٩٠م. وصار كاهناً عام ١٨١٤م، وكان تكوينه في مدرسة قديس أنثي بعد ذلك، هو الأب جسبار برتوني Gaspare Bertonى المرشد الروحي للإكليركيين، وكان يتابع روحياً الكهنة بعد سيامتهم عن طريق محاضرات في اللاهوت العقائدي والأدبي، وقد كانت فرصة لقاء ومناقشة للجمع. وزيادة على ذلك، وبفضل الأب برتوني وافتتاحه على احتياجات فيرونا، ولدت هيئة كهنة الجروح، وهم مرسلون في خدمة الأساقفة. وفي التحريك الأول للرأي العام نحو الإرساليات عبر البحار.

فيه منهج دراسة الإكليريكية.

بالطبع لم يكن المعهد مقصوداً على سكنى الشباب، فهم حين كانوا يعيشون مع الأب ماتزا - المرشد الروحي ومدرس الرياضيات - كانوا يحصلون على تكملة جوهرية من التكوين المدرسي والديني، يعدّهم لكي يصيروا كهنة، أو أطباء، أو مهندسين، أو أصحاب عائلات ذوي قيمة، وكان الأب ماتزا مهموماً بعملية التنصير، واتخذ فيما بعد مبادرات في هذا الخصوص، حيث هيا في مؤسسته مناخاً ملائماً لعملية التنصير، في الوقت الذي كان الاهتمام نفسه يملأ الكنيسة بأسرها.

الأحداث المؤثرة في نشأته:

قبل مولد دانيال كمبوني ببضعة أسابيع في ٢ فبراير ١٨٢١م ارتقى الكاردينال ماورو كاييلاري عرش البابوية باسم غريغوريوس السادس عشر، وفي هذا الوقت اجتاحت الثورة الأملاك البابوية، حتى إن البابا طلب من الجيش النمساوي أن يعيد النظام إلى الأراضي الكنسية، وأصبح لمدة ١٥ عاماً أحد الباباوات الأقل شعبية في القرون الأخيرة، خصوصاً لأنه لم يكن ماهراً في إدارة هذا الوضع الذي تمثله الأملاك البابوية.

ولكن بالنسبة للكنيسة كان وضع كاييلاري مختلفاً، حيث رأت فيه الكنيسة مبشراً بالإنجيل ذا نور وحزم، ووجدت فيه القائد الذي كان يلزمها ليأخذ على قواعد جديدة عبء تجديد التنصير^(٢)

وأصبح نيقولا ماتزا الذي نشأ بهذه الطريقة بدوره مربياً، فأسس للبنات عام ١٨٢٨م مدرسة كان بها عام ١٨٤٨م ثلاثمائة طالبة، ثم أسس عام ١٨٤٣م مدرسة للبنين، بدأت بخمسة طلاب، وكانت غايتها ما يلي: قبول الأولاد الفقراء وتربيتهم دون سواهم، بشرط أن تكون فيهم الصفات الآتية: الاستعداد للدراسة مع حسن السلوك والطباخ. وكان يعطيهم التربية الحسنة الكاملة مع منحهم الحرية في اتباع الدعوة التي يميلون إليها بطبيعتهم وميولهم، ولم يكن عليهم التزام أن يصيروا كهنة، وكان قرار مستقبلهم يعود إليهم، وبعد الدراسة في الإكليريكية كان يمكنهم الالتحاق بجامعة بادوفا، حيث أسس الأب ماتزا معهداً خاصاً، كما كان يمكنهم الالتحاق بالدراسات اللاهوتية في الإكليريكية.

(٢) بدأ التجديد التنصيري بمقدمتين مهمتين:



الكاثوليكية في سنة ١٧٨٧م، فقد رفض «المجمع لانتشار الإيمان» فكرة السماح للمواطنين السود بالكهنوت والأسقفية، والمجمع نفسه رفض في ١٨١٨م الفكرة نفسها.

لكن البابا غريغوريوس تدخل في هذا الموضوع بقلب هذه الميول وشجبها، وهذا في نشرته «تعليمات للمرسلين» الصادرة سنة ١٨٤٥م من «المجمع لانتشار الإيمان» والتي أيدها البابا، ونص على أن الإكليروس المحلي - أي الكهنة الملونين - يلزم تكوينهم في الناحية العلمية والدينية، لكي يمكنهم أن يصبحوا هم أيضاً أساقفة في المستوى نفسه وبالسطة نفسها مثل البيض، وأنه يلزم التخلص نهائياً من الادعاء الذي يجعل من الكهنة الوطنيين مرؤوسين وأقل درجة.

نشأ دانيال كمبوني متأثراً بالتوجهات الإصلاحية، وهو ما انعكس بعد ذلك في جهوده على الساحة الإفريقية

في ظل هذه التطورات الدينية والتنظيمية والفكرية نشأ وترعرع دانيال كمبوني، فتأثر بتلك التوجهات الإصلاحية، وهو ما انعكس بعد ذلك في جهوده على الساحة الإفريقية.

البيئة المؤثرة فيه:

لقد تربى دانيال كمبوني على الثقافة الإنسانية والدينية العميقة، حيث اعتاد دانيال كمبوني منذ صغره الذهاب يومياً إلى الكنيسة ليصلي، وكان شغوفاً بالوعظ، وكان أصحابه يرونه واقفاً على كرسي أو فوق أحد الصخور وذراعه مبسوطتان، ويعط بأعلى صوته ويكلّ حماساً.

كل هذه الأحداث والشخصيات كان يلاحظها دانيال كمبوني الذي كان يدرس في فيرونا، وتدريباً

الذي بدأ عقب حروب نابليون^(١)، لم يكن يخلو من الخبرة في هذا الميدان لأنه أدار مدة خمس سنوات «جمعية نشر الإيمان» أي «المجمع لانتشار الإيمان»، وقد أعطى هذا البابا للمرسلين توجيهات جديدة عامة، سمحت له فيما بعد بتطوير الأعمال الإرسالية من بعده بوقت طويل.

في هذا العصر لم يكونوا يعترفون أن سود إفريقيا وأمريكا لهم أنفس مثل أنفس البيض، وفي هذا المناخ حدثت ضربة جديدة لإدارة الكنيسة

الأولى: إعادة تكوين الرهينة السوسية عام ١٨١٥م.

الثانية: إعادة المجمع لانتشار الإيمان على قواعد جديدة عام ١٨١٧م. وظهرت جماعات رهبانية ذات هدف تصميري، وأصبحت المؤسسات الموجودة حينذاك تعمل للتصير هي أيضاً، نذكر منها على سبيل المثال في فرنسا عمل آن ماري جافويه التي أسست عام ١٨٠٢م رهبنة القديس يوسف من كلوني، وهي للتعليم والتمريض، والتي أصبحت بعد الحرب رهبنة مرسلات، وقد كانت الأولى في العالم في هذا المضمار، وكان ذلك يعد عيباً في البداية ذهبت الأم جافويه بنفسها، وأسكنت الراهبات في السنغال وفي جويانا الفرنسية، واعتبروها في فرنسا وفي روما معنونة، أما الآن فقد سقط الحاح التاريخي، وأصبح للراهبات الحق في الذهاب للإرساليات.

وهذا الأمر كان قاطعاً بالنسبة للتجديد للتصميري، فلم يستخدموا الأساليب القديمة التي عمرها ثلاثون عاماً كما فعل بعض الملوك العائدين لمروشهم، ولم يستعملوا الخطاب القديم الذي انقطع، كان يلزم الكلام بلغة المستقبل، ولذا كان يلزم إعداد متكلمين جدد ومختلفين، تحركهم آراء جديدة، حيث يتم الحفاظ على الهدف الأخير للكراسة (الوعظ) بالإنجيل، فهمم العلمانيون تحت دفعة فتاة Pauline Jaricot بولين جاريكو يخترعون في ليون أسلوباً غير مألوف لمساندة الإرساليات، وهو «جمعية نشر الإيمان».

كان المبدأ فيها خلق تضامن جديد مع مفهومية جديدة، إذ لم يكن الهدف هو جمع مبالغ طائلة من أفراد ولا مبادرات مرتجلة، وإنما تخطيط لتقدمات بسيطة في مقدور الجميع، وهو مبلغ بسيط يدفعه أي شخص، يقوم بجمعه كل أسبوع جهاز متفرع، كان يسلم للمرة الأولى مسؤوليات لآلاف العلمانيين الكاثوليك، ويضمن للإرساليات تمويلاً شبيهاً من أشخاص منفردين، تحولوا إلى روح الإرساليات، تحركهم نشرات شعبية.

(١) كانت أزمة الإرساليات قائمة منذ زمن بعيد، وكانت تبدو مستحيلة الحل بسبب الثورة الفرنسية واحتلال روما، والقبض على بيوس السادس وموته وحيداً في فالانس، وما كان بدء عصر النور مع إلغاء الرهينة السوسية وباقي الرهبانيات، ومع سياسة الحكومات التي كانت كلها تهتم بمضايقة النشاط التصميري أو استغلاله، كل هذا تم استكماله بتشريع الثورة الفرنسية والحروب المتتالية، وأصبح المرسلون يجدون أنفسهم في وحدة وعزلة دون سند أو عون، يشيخون ويموتون في عزلتهم، وفي عام ١٧٩٨م صدر قرار فرنسي أعلن في روما: به تم إلغاء «المجمع لانتشار الإيمان» ونهب مكتبتها.

وجّه نفسه نحو الكهنوت، ثم نحو الإرساليات، وأخيراً نحو العمل التبشيري في إفريقيا الوسطى التي كانت تُسمّى في ذلك الوقت «نيجرسيا».

وفي الواقع؛ لا يرتبط هذا التطوّر الداخلي بتواريخ دقيقة، ولكن يمكننا ذكر وقائع تبيّن بوضوح أكثر هذا الإدراك والوعي التدريجيين، فعندما كان دانيال في الخامسة عشرة قرأ باهتمام شغوف قصة الـ ٢٦ شهيداً مسيحياً الذين صُلبوا في ناجازاكي في اليابان عام ١٥٩٧م، وقصة الـ ٢٠٥ مسيحيين الذين قُتلوا في الأعوام الثلاثين التالية، وكان ألفونس ماري دي ليكوري كتب هذه القصة في القرن السابع عشر في كتاب له اسمه (انتصارات الشهداء).

ثم في سنّ السادسة عشرة كان شاهداً مع كلّ رفاقه لأوّل التزام إرسالي لمعهد ماتزا، وهو سفر الأب فينكو إلى إرسالية إفريقيا الوسطى مع الأب ريلو، وفي أثناء ذلك كان يرى مولد وتطور «برنامج ماتزا» الخاص بإفريقيا، وكان ذلك في المحاضرات والمناقشات، وكان هذا البرنامج يقبل بكلّ بساطة فتيات إفريقيات في فيرونا، وبعد ذلك يقبل فتيان، لإعطائهم تعليماً جيداً وتكويناً متيناً في المسيحية، وبعد ذلك يعودون إلى إفريقيا، ويختارون هم أنفسهم طريقة الخاص، لكنهم يعملون بوصفهم منشّطين مسيحيين في الإرساليات والعائلات.

وسبقت هذه المبادرة في إيطاليا «مؤسسة تحرير العبيد»، والتي أقامها الأب أوليفيري Olivieri الذي انضم إليه فيما بعد الأب فيري، وهو من كومو.

وصلت الفتيات الأوّليات عام ١٨٥١م، وقد كان هذا التجديد سبب مناقشات حادة في المعهد، أدّت إلى تحسينات في المناهج الدراسية، وأصبح من الضروري تطوير دراسة اللغات، وبخاصة اللغة العربية.

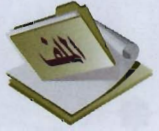
أوّل زيارة لدانيال كمبوني إلى إفريقيا: وكانت أوّل زيارة لدانيال كمبوني إلى السودان في عام ١٨٥٦م، مع مجموعة من أعضاء كلية ماتزا، مات اثنان منهم بعد وصولهم بفترة وجيزة، أما دانيال كمبوني فقد اضطر للعودة إلى إيطاليا في عام ١٨٥٩م، لتدهور صحته آنذاك، ولكنه بالرغم من ذلك قرّر أن يكرّس حياته للعمل من أجل تبشير الأفارقة، وبعد أن قضى فترة النقاهة في بلدته أبحر إلى الإسكندرية ثم عدن، وبعض الموانئ والمدن في سواحل إفريقيا، وقام باختيار صبيان من الأفارقة امتازوا بذكائهم، ونقلهم إلى كلية ماتزا وغيرها من المعاهد الخيرية، لينالوا تربية يمكنهم بها التأثير على مواطنيهم عندما يعودون إلى ديارهم.

وعندما عزم دانيال كمبوني على الذهاب إلى إفريقيا عمل متطوعاً بين المصابين بالكوليرا، وكان يعلم أنه ذاهب إلى قارة الأسود، وأنه سوف يجابه العديد من الصعوبات والعقبات، لذلك جاء استعداداه مبكراً وشاقاً.

استعداده لتحمل الصعاب والعقبات: عندما بلغ دانيال كمبوني العام الحادي والثلاثين من عمره كان يتقن عشر لغات، من بينها اللغة العربية، وبعض اللهجات الإفريقية المحليّة، وكان متحدثاً جيداً، يعرف ماذا يقول، وكيف يقنع الآخرين.

لاحظ كمبوني أن الأوروبي يعاني الظروف المعيشية في البيئة الإفريقية، كما أن الإفريقي يعاني في البيئة الأوروبية، لذا قرر إنشاء مراكز تدريب في كل من القاهرة وأسوان، يتدرّب فيها الأفارقة، ثم يعودون إلى مراكزهم لتدريب غيرهم.

وقد كلّلت التجربة بالنجاح، وأصبح رأساً للكنيسة في أواسط إفريقيا عام ١٨٧٢م، وأوّل مطران كاثوليكي للخرطوم في الثاني من يوليو عام ١٨٧٧م، وكافح في زيادة معاونيه، كما كان يمدّم دائماً بالمشورة الداعمة لمقومات الحياة.



وكانت قيادته سليمة في المجال المسيحي وتطوير الناحية الإنسانية، وخلق مجتمعات مسيحية متماسكة في منطقة الخرطوم وفي الغرب، وهو ما كان له أثره في تطوير مصالح المسيحيين في هذه المناطق، لقد مرّت عليه جميع أنواع الصعاب، وأُرهق جسدياً، وقاسى الشدائد نفسياً. بداية نشاطه في إفريقيا:

لقد تمكّن دانيال كمبوني من إقامة علاقات وصداقات واسعة، وأصبح المنسّق لحركة التصير الأوروبية، والمصدر لكل أولئك الذين يرون إفريقيا قارة مسيحية.

وفي عام ١٨٧٣م عاد دانيال كمبوني إلى الخرطوم للمرة الثانية، وذلك بعد أن قام البابا - يولس التاسع - بتعيينه نائباً رسولياً لإرسالية أواسط إفريقيا، وهي المنطقة التي تغطي حالياً: السودان وشرق إفريقيا وتشاد وجمهورية إفريقيا الوسطى، وأعطاه البابا السلطة لإعادة التصير في هذه المناطق، وكان مع كمبوني دفعة من المرسلين المساعدين له، وأثنى من الأفارقة الذين تخرجوا في كلية ماتزا، حيث كان هؤلاء الطلاب الأفارقة عبيداً في الماضي تم تحريرهم على يد منظمات كاثوليكية، وأدخلوا معها دراسياً في فيرونا، حيث تلقوا التدريب على التصير المسيحي، ومن ثم أعيدها إلى إفريقيا مرة أخرى.

أعطى دانيال أوامره لاثنتين من القساوسة بالذهاب إلى مدينة الأبيض بغرب السودان لبناء مدرسة وكنيسة، وعندما وصل كمبوني إلى السودان كان أول ما فعله - على حدّ قول أتباعه - أن «كرس إفريقيا لقلب يسوع»، ومن عبارته المؤثرة في استمالة الناس إلى الكنيسة وخدايعهم؛ أنه وقف في وسط سوق الرقيق في مدينة الأبيض بغرب السودان، ليقول للناس: - حدّ تعبيرة - «حب شبابي الأول كان إفريقيا التعساء، كانت أفكاره وخطواته دوماً لكم، أنا أبوكم، وأنتم أبنائي، أعود إليكم لثلاث أوقف أبداً، وأن أكون لكم، يلقياني الليل والنهار، الشمس

والشتاء، متأهباً دوماً لتلبية حاجاتكم الروحية، الغني والفقير، المتعافي والمريض، الشاب والشيخ، ربّ البيت والخدام، لهم دوماً مدخل إلى قلبي، خيركم خيري، أوجاعكم أوجاعي، أسعد أيامي يكون يوم أستطيع أن أهب حياتي لكم».

بدأ دانيال كمبوني عمله في جبال النوبة، وهي في ذلك الوقت كانت منطقة مغلقة؛ إذ لم يصل إليها أي من التجار بعد، وقام بفتح مزرعة بالدنج لتدريب الأهالي على الزراعة، وأقام مزرعة أخرى بالقرب من مدينة الأبيض في (ملبس)، وطبق دانيال كمبوني في كل مؤسساته ذلك الأسلوب المعروف اليوم بـ «العون الذاتي»؛ إذ كان يعمل على تدريب الأهالي على الاكتفاء الذاتي، وخصوصاً في أعمال الزراعة، وكان يشجّعهم على أن يؤمّنوا معيشتهم بأنفسهم، كما قام بفتح مركز آخر في بربر، وكان في نيته أن يقيم مركزاً في القطاريف وبعض مناطق الجنوب؛ إلا أن وفاة الكثير من مساعديه حالت دون ذلك. أفرقة التصير:

كانت إرسالية أواسط إفريقيا بالخرطوم قد أغلقت منذ عام ١٨٦٢م، ولكن رغبة دانيال كمبوني في تصير الأفارقة كانت كبيرة، لذلك أعدّ خطة لإعادة فتح الإرسالية، والعمل في إفريقيا، وذلك بالاستعانة بالأفارقة أنفسهم، وساعده في ذلك مقدرة الأفارقة على إدارة شؤونهم الدينية والاجتماعية بأنفسهم.

وفي هذا المجال كان دانيال كمبوني سباقاً في «أفرقة الإفريقيين» سياسياً وثقافياً واجتماعياً، ومن أجل هذا طاف جميع العواصم الأوروبية، معلناً خطته وداعياً إليها، بفرض جمع التبرعات لإنجاز مهمته، ولكنه لقي الكثير من المعارضة، وبالأخص من رئيس كلية ماتزا الذي رفض اقتراح إعادة فتح إرسالية أواسط إفريقيا بالخرطوم، لكثرة الصعوبات التي واجهها المشروع، إلا أن دانيال كمبوني لم يستسلم؛ إذ عزم على أن يحمل هذا العبء الثقيل وحده، وأن يواصل العمل دون مساعدة من كلية ماتزا.

والثاني: مركزاً شعبياً بالحاج يوسف بالخرطوم البحري لتوفير العناية بالمرضى.

أما الثالث: فهو للتدريب الحسي والطبيعي للأطفال والمعوقين؛ حتى يتم مساعدتهم وتعليمهم وتدريبهم وتأهيلهم لكي يستطيعوا مجابهة الحياة.

وخلاصة القول: أن هذه الاحتفالية تم التركيز فيها على الأسر المسيحية، حيث تم دعوة الأسر المسيحية لأن يهيئوا سكتاهم أولاً ليكون كنيسة منزلية، يليها أن يعرفوا ويخدموا كنيستهم المحلية، وثالثها أن يستجيبوا لنداء البابا، وضم حملاتهم في إطار الكنيسة العالمية.

مدارس دانيال كمبوني:

عندما تقوم بالنظرة الفاحصة إلى تجربة مدارس دانيال كمبوني في السودان عموماً؛ نجد أنها استطاعت أن تحوي كل أفراد المجتمع السوداني، على الرغم من كونهم من بيئة مشبعة بعادات وتقاليدهم، ومعينة، ومتباينة، وقيم مختلفة عن البيئات الأخرى إلا ما ندر، وكانت مدارس كمبوني أيضاً هي الوعاء الذي عمل على مسخ هوية أبناء المسلمين.

إن مدارس دانيال كمبوني، ولأجل تحقيق دورها التصيري لم تقتصر على الجانب التعليمي فقط، إذ كانت ولا تزال تولي اهتماماً بالإنسان بوصفه أداة التغيير الذي تسعى إليه، لذلك اهتمت بتربية الجوانب الأخرى من هذا الإنسان، والذي هو أحد تلاميذها، إذ كانت الأنشطة الرياضية حاضرة بقوة (لا تخلو مدرسة من مدارس كمبوني من ملعب لكرة السلة، وآخر للكرة الطائرة)، وكذلك اهتمت بالجوانب الثقافية والأدبية.

ويذكر أن مدارس دانيال كمبوني توجد في عدة مناطق في السودان، وبخاصة شندي وعطبرة وبور تسودان والقطاريف وحلفا ومدني، إلى جانب ثلاثين مدرسة في الخرطوم، يقوم بالتدريس في هذه المدارس قرابة سبعين معلماً، وتقوم المنظمات التي تتبع الكنيسة الكاثوليكية العالمية بتوفير الوجبات

واهتم دانيال كمبوني بدور المرأة في عملية التصير، وعمل في السودان ومصر الدولتين الإسلاميتين، واستطاع بالرغم من العادات والتقاليد أن يضم إليه عدداً من النساء للعمل راهبات في المدارس والكنائس التي أقامها دانيال كمبوني. الكنيسة ودور دانيال كمبوني في إفريقيا:

تري الكنيسة أن أفراد بعثات التصير، وعلى رأسهم دانيال كمبوني، عملوا على اقناع الأفارقة بأن المسيحية هي وسيلتهم للتخلص من الفقر والاضطهاد والفنوط واليأس والكوارث البيئية التي كانت تعصف بهم زاعمين أن التصير سيأتي بعصر جديد من العدالة والسلام، وكان أفراد البعثات يشاركون هؤلاء البؤساء في أحوالهم، يواسونهم ويقدمون لهم ما يستطيعون لتخفيف معاناتهم.

ومنذ عام ١٨٩٧م تناضل مؤسسات دانيال كمبوني التصيرية، والتي جرى تأسيسها آنذاك من أجل تكوين جمعيات تدعي العمل للعدالة والسلام، وهي تعمل حقيقة على إثارة العداوة والبغضاء، وبخاصة تجاه المسلمين، وحالياً بقي بعض هؤلاء المنصرين يعملون مع الناس الذين ألقيت مسؤوليتهم على عاتقهم في دول مثل الكونغو السودان وأوغندا، ورغم تردي الحالة الأمنية في هذه البلدان.

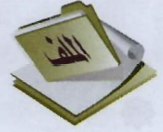
حظى دانيال كمبوني بمكانة كبيرة في الأوساط الكنسية وقد أقيم له احتفالية بمناسبة مرور مائة عام على وفاته وأوصى المحتفلون بالآتي:

١ - التعمق في معرفة جهود دانيال كمبوني، ومسيرة الكنيسة المسيحية، في السودان.

٢ - أن على مدارس دانيال كمبوني تكريم راعيها بتنظيم الاحتفالات المناسبة.

وقد تم تقديم ثلاث مؤسسات في السودان؛ إحداها في الحقل الروحي، وأخرى في الخدمات الطبية، والثالثة في الحقل الثقافي.

الأول: سيكون مركزاً للقاء المسيحي في منطقة كوبر الخرطوم البحري.



بواجهها في إفريقيا، والسلبيات والإيجابيات في عمله بها.

وقد نجح دانيال كمبوني في تحقيق التواصل مع الكنائس في أوروبا، والذي كان مهماً لنجاح مهمته في إفريقيا.

كان هذا بيان لجهود أحد القساوسة في نشر النصرانية في إفريقيا، وقد تحدى الصعاب التي واجهته على الرغم من بطلان ما يدعو إليه.

فأين نحن المسلمين من هذا التحدي؟!

أين نحن من الإصرار على تحمّل الصعوبات في سبيل نشر رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم في جميع ربوع القارة الإفريقية والعالم أجمع؟!

المصادر:

١ - الأب فرنسيسكو بيبيرلي الكمبونياني، نصوص مقتبسة من كتاب "Come Erodi" (القاهرة، عيد القيامة ٢٠٠٧م). <http://www.comboniegypt.org>

٢ - دومنيكو أجاسو، «دانيال كمبوني حياة من أجل إفريقيا»، ترجمة الأب لويس نصري، في ذكرى ميلاد دانيال كمبوني، (القاهرة: مقر البطريركي الكاثوليكي بكويري القبة، ١٥ مارس ١٩٩٦م).

Comboni Missionaries in Egypt. www.comboniegypt.org

٣ - نبذة مختصرة عن حياة دانيال كمبوني، www.comboniegypt.org

٤ - H.G.A. BARO TORAL NI., THE CENTENARY YEAR OF BISHOP DANIEL COMBONI IN PASLETAR (KARTOUM)، ٢٤-٩-١٩٨٠.

٥ - WWW.COMBONI MISSION.ORG

٦ - WWW.WORLD WIDE SOUTH AFRICA

٧ - JEUNESSE ETUDIANT CHRITIAN

JEC WWW.JEC JORDAN.ORG ٢٠١٠.

لها، ودفع مرتبات المعلمين.

وفي كل عام يقام في مدارس كمبوني بالخرطوم احتفالية بذكرى وفاة مؤسسها دانيال كمبوني أحد المنصرين الخمسة الذين انتدبهم «مجمع نشر الأديان التبشيري الإيطالي» ضمن الرسالة التصيرية لإفريقيا في القرن التاسع عشر. وفاته:

توفي المطران دانيال كمبوني في الخرطوم عاصمة السودان في العاشر من أكتوبر عام ١٨٨١م، في سنّ الخمسين، بعد أن أنهكه مرض الملاريا، والصعوبات التي واجهته في عمله التبشيري، وعند احتضاره طلب من المنصرين أن يقسموا على مواصلة العمل الذي بدأه، وقال: «لا تخافوا! فأنا أموت ولكن عملي لن يموت».

ودُفن في حديقة الإرسالية بالخرطوم، وقد هُدم قبره من قبل جيوش المهدي، وتم نقل رفاتة لاحقاً إلى فيرونا في إيطاليا هناك في البيت الذي سُمي باسمه. وأخيراً:

امتد نشاط مؤسسات دانيال كمبوني التصيرية ليعم معظم أنحاء القارة الإفريقية، وكانت هي الأولى من نوعها التي وصلت إلى إفريقيا، وتغلّفت أعمالها في معظم مناطق الحضرية والقروية لدول القارة الإفريقية، وكان من رأي هؤلاء المنصرين أن التصير بالمسيحية يرتكز في التجاوب مع الثقافات والديانات الأخرى، والتركيز في التعليم، وهي المراكز التي قامت عليها البعثات التصيرية لكي تتمكن من التأثير في المجتمعات الإفريقية.

لقد سافر دانيال كمبوني إلى أوروبا بحثاً عن دعم لمهمته في إفريقيا، وقد جعل أوروبا نقطة للالتقاء بمختلف بعثات ومنظمات التصير الكاثوليكية الأخرى في إيطاليا وفرنسا والنمسا وألمانيا، حيث كان يشرح تجربته، والصعوبات التي